

"الصحافة الجزائرية المتخصصة" في عهد الاحتلال الفرنسي

. دراسة لمصطلح الصحافة الدينية في السياق الزمني للمضمون الإعلامي

د. هند عزون

جامعة جيجل

عرفت الجزائر الصحف بإصدار الاحتلال الفرنسي (L'estafette de Sidi Ferruch)⁽¹⁾ في جوان 1830⁽²⁾، ثم ظهرت مجموعة من الصحف التي يمكن أن نصنفها إلى قسمين رئيسيين هما: الصحف التي أصدرها فرنسيون*، بهدف تثبيت دعائم وأركان الاحتلال الفرنسي، وهذا النوع لا يمكننا أن نطلق عليه مصطلح الصحافة الجزائرية إلا بشيء من التجاوز؛ دلالة على الناحية الجغرافية التي صدرت فيها الصحف، وأما بالنظر إلى مصدر الصحف ومضامينها وأهدافها فإنها فرنسية المصدر والمصالح، استعمارية الأهداف. وأما النوع الثاني فإنها الصحف التي أصدرها جزائريون مسلمون إدارة وتمويلا وتوزيعا، وقد تضمن محتواها القضايا الدينية الإسلامية والشؤون العامة للجزائريين وهو ما أطلق عليه بعض الباحثين⁽³⁾ مصطلح "الصحافة الأهلية" وهو ما نعنيه هاهنا عند إطلاق مصطلح الصحافة الجزائرية.

تُعرف الصحافة المتخصصة بأنها "الصحيفة أو المجلة أو الدورية التي تعني بجزئية أكثر تخصصا في فرع من الفروع"؛ كالأدب أو الطب أو الرياضة⁽³⁾، فإذا اهتمت بالشؤون الدينية أضحت صحافة دينية. ويرى بعض الباحثين أن مفهوم الصحافة المتخصصة يشمل أيضا الصفحات المتخصصة في الصحف العامة باعتبار أن هذه الصفحات تمثل جوهر الثقافة العامة التي يحصل عليها القارئ العادي للصحف⁽⁴⁾. وبهذا الاعتبار تدخل الصفحة الدينية في مفهوم الصحافة المتخصصة⁽⁵⁾.

تعتبر الصحافة الدينية نوع من أنواع الصحافة المتخصصة ومن أقدمها ظهورا إذا أخذنا الصحافة الدينية بمفهومها العام (صحافة إسلامية، مسيحية...)، بسبب سعي الدول الأوروبية المسيحية التي ظهرت فيها الطباعة الحديثة قبل غيرها من الدول الإسلامية إلى إصدار صحف ومجلات دينية تقف وراءها الكنيسة والجمعيات الدينية.

ويجدر بالذكر أننا نفرّق في هذه الورقة البحثية بين مصطلحين رئيسيين ينضويان تحت مظلة الإعلام الديني (الإسلامي) عموما وهما: «الصحافة الإسلامية» و«الصحافة الدينية»، وبحسب الفرق بين المفهومين تُخضع المضمون الصحافي المكتوب خلال الاحتلال الفرنسي للتحكيم المفاهيمي؛ مما يتعلق منه بالصحافة الدينية (الإسلامية).

فعندما نطلق مصطلح «الصحافة الدينية» فإننا نعني به: الصحافة التي اعتنت بالمواضيع التي تصب في المجال الديني (الإسلامي) في إحدى جزئيات الدين الإسلامي كالعقيدة مثلا أو الفقه، أو هما معا دون أن يولي المضمون الصحافي المسمى بـ"الصحافة الدينية" أهمية للنسق القيمي والفكري العام الذي يمتاز به الدين الإسلامي؛ والذي يحدد تصورا كليا عن الكون والحياة والإنسان وعلاقة الإنسان بما يحيط به. وهذا يكون مصطلح "الصحافة الدينية" جزء من "الإعلام الديني"، وهو الإعلام الذي يتعلق بأركان خاصة من وسائل الإعلام ويشغل حيزا منها دون أن يُمثل مدرسة أو رؤية محددة مستندة إلى مرجعية خاصة في مجال الإعلام.

وأما مصطلح "الصحافة الإسلامية" فنقصد بها: الصحف التي تعكس الروح والمبادئ والقيم الإسلامية وتتناول المعلومات والحقائق والأخبار المتعلقة بكافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية. وبهذا تكون "الصحافة

الإسلامية" جزء من "الإعلام الإسلامي"، الذي يؤدي وظائفه من تثقيف وترويح وإرشاد وإخبار وتعليم ملتزما في ذلك بمبادئ الإسلام في جميع عملياته ومراحله وأهدافه ووسائله»⁽⁶⁾.

ومن باب المنهجية العلمية ألا نستبق الحديث بإطلاق أحد هذين المصطلحين في بداية هذه الدراسة، بل ندع ذلك لنهايتها بعد حديثنا عن أقسام الصحف الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي وطبيعة مضامينها الإعلامية في سياقها الزمني، بادئين حديثنا عن "الصحافة الجزائرية" والتي نقصد بها الصحف التي أصدرها جزائريون مسلمون إدارة وتمويلا وتوزيعا، وقد تضمن محتواها القضايا الإسلامية والشؤون العامة للجزائريين وهو ما تطلق عليه بعض الأدبيات التي اهتمت بهذا المجال مصطلح: "الصحافة الأهلية"^{*}. وأما الصحف التي أصدرها فرنسيون بهدف تثبيت أركان الاحتلال الفرنسي فإن الباحث الجزائري: زهير إحدادن يقسمها إلى صنفين: الصحافة الحكومية وصحافة أحباب الأهالي على أساس أن هذه الأخيرة تختلف عن الأولى بكون المنشعين لها استاءوا من السياسة الفرنسية وأرادوا تقديم العون إلى المسلمين الجزائريين خدمة لمصالح فرنسا عن طريق دعوتها إلى تحسين أوضاع الأهالي، وهذا النوع من الصحف بقسميه لا يمكننا أن نطلق عليه إلا مصطلح الصحافة الفرنسية بالنظر إلى طبيعة القائمين على الصحف وأهدافهم الاستعمارية، وليس لهم من الشأن الجزائري إلا الناحية الجغرافية التي صدرت فيها صحفهم وعملت في إطارها.

ويمكننا أن نقسم الصحف الجزائرية الصادرة إبان الاحتلال الفرنسي من زاوية اهتمامها بالشؤون الإسلامية للجزائريين إلى قسمين رئيسيين. تعلق القسم الأول منهما بالصحف العامة، وتمثل القسم الثاني في الصحف ذات الصبغة الدينية. حيث إذا نظرنا إلى المواضيع الدينية بمفهوم الإعلام الديني الذي يشغل حيزا من وسائل الإعلام ويتعلق بجانب من جوانب الدين الإسلامي (عقيدة أو تفسيراً أو أخلاقاً...)، فإن الصحف الجزائرية تضمنت هذا النوع من المواضيع منذ بواكير ظهورها. إذ يذهب محمد الصالح آيت علجت إلى أن المواضيع الدينية في الصحف الجزائرية بدأت منذ مطلع القرن العشرين من خلال مجموعة من الصحف ذات الطابع الصوفي أو الإصلاحية على غرار صحيفة الجزائر (1905) و"ذو الفقار"^{*} (1913) لعمر راسم (تـ1959م)، وصحيفة الإسلام^{**} (1910) لصادق دندان، وجريدة الفاروق (1913/03/18) لعمر بن قدور (تـ1932)⁽⁷⁾. وهذا الصدد يطلق الباحث الجزائري محمد الصالح آيت علجت مصطلح صحف التصوف نسبة إلى مؤسسي بعض الصحف ومن يقومون على شؤونها وهم شيوخ الطرق الصوفية على غرار مؤسس صحيفة لسان الدين: أحمد بن مصطفى العلوي مؤسس الطريقة العلوية، ونرى أن مصطلح "الصحف الصوفية" لا يعكس حقيقة هذه الصحف بقدر ما يجعلها منحصرة في زاوية ضيقة وهي: مواضيع التصوف التي لم تكن المواضيع الوحيدة في معالجتها الإعلامية لمختلف الأحداث التي عاصرتها والإشكاليات التي تزامنت مع وجودها المرتبط بسياق زمني له ما يميزه، ولذلك ارتأيت استخدام مصطلح: "صحافة الاتجاه الصوفي"، باعتبار أن المواضيع التي وردت بها عامة لم تقتصر على مواضيع التصوف وإن ركزت عليها.

وبناء على ما سبق فإن من صحف الاتجاه الصوفي: صحيفة لسان الدين (1923/1/1) والبلاغ الجزائري (1926/12/24) والرشاد (1938/5/23)⁽⁸⁾ ومجلة المرشد (أوت 1946) والذكرى (15 ديسمبر 1956) ويلاحظ على بعض هذه الصحف تصريحها باتجاهها وطابعها الديني على غرار كتابة: "جريدة دينية"، ومن المواضيع التي نشرتها في المجال العقائدي مقالا طويلا لعمر بن قدور بعنوان: "خطر الأحداث والبدع على القومية والدين" بجريدة الفاروق والذي خصصه للحديث عن التبرك بأضرحة الأولياء والصالحين⁽⁹⁾، ومقالا بعنوان: "النصح والإرشاد" بجريدة

وادي ميزاب لصاحبها أبي اليقظان⁽¹⁰⁾. هذا فيما يتعلق بالقسم الأول وهو قسم "الصحافة الدينية". أما القسم الثاني وهو المتعلق بالصحف الجزائرية العامة، والتي اختلفت تصنيفات الباحثين الجزائريين لها إلى صحف إصلاحية وصحف ذات اتجاه إصلاحي وصحف وطنية؛ فإننا نلاحظ بشأنها أن المواضيع التي نشرتها تتسم بالتنوع ما بين قضايا محلية وأخرى دولية. فمن القضايا المحلية اهتمامها بانتشال الشباب من مخاطر الانحراف الذي عرفته الجزائر في ذلك الوقت خاصة في المدن، وقضايا دولية على غرار قضية الخلافة الإسلامية التي كتبت بشأنها لسان الدين (عدد 6) موضوعا تحت عنوان: "فصل الخلافة عن السلطة"، وآخر في عددها الثامن تحت عنوان: "احتجاج لجنة الخلافة بتونس"، ونجدها كذلك متنوعة ما بين مواضيع اجتماعية وسياسية وأخرى تهدف إلى المحافظة على مقومات ومبادئ الدين الإسلامي⁽¹¹⁾.

ومن الصحف التي ازدهرت منذ الربع الأول من القرن العشرين صحف أبي اليقظان التي غطت فترة ما بين الحربين العالميتين (1926-1938)، والتي تضمنت مادة غنية متنوعة في جميع المجالات لاسيما منها الجانب الديني، ومن أشهرها صحف وادي ميزاب التي كتب أبو اليقظان عن طابعها وسياستها وأهدافها وثيقة (1926/7/3) جاء فيها: "هي جريدة ملية وطنية إسلامية تصدر مرة كل أسبوع شعارها: الحق والصدق والإخلاص، مبدأها نصره الدين والوطن ونشر الأخلاق الفاضلة... سياستها الدفاع عن الجزائريين المسلمين عموما، مسلكتها الوقوف موقف الدفاع وعدم التدخل فيما لا يهم الأمة الجزائرية العربية المسلمة ولا يمس مبادئها، وترقية مدارك الأمة لرفع مستواها المادي والأدبي والاجتماعي"⁽¹²⁾.

يغلب على صحيفة وادي ميزاب الاتجاه الإصلاحي غير أنها تنفرد بجرارة اللهجة في مخاطبة السلطة الاستعمارية والصرحة في المعالجة والتعقب العلني لمظاهر الانحراف الديني ممثلا في التعصب المذهبي أو دعوات التجنيس والاندماج؛ وكانت محاور مواضيعها تجتمع حول أهداف تعزيز الشعور بالذات وتدعيم الجانب الأخلاقي للجزائريين، وتعزيز التفكير الصحيح وفق روح الإسلام، كما أنها لم تغفل المواضيع ذات الصلة الوثيقة بجانب العبادات على غرار القضايا الفقهية المتعلقة بذبائح أوروبا ورؤية الهلال في المواسم الدينية، إضافة إلى محاربة التنصير عن طريق كشف أعمال "الآباء البيض" في الجزائر لاسيما في المناطق النائية منها، وتبيان طبيعة العلاقة بينهم وبين الاحتلال الفرنسي⁽¹³⁾.

و من الصحف الإصلاحية صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931) التي تضمنت مبادئ وأفكار الجمعية بقيادة الشيخ بن باديس والتي بدأت إرهاباتها الأولية تظهر منذ الثاني جويلية 1925 تاريخ إصدار أول جريدة للعلامة ابن باديس وهي جريدة المنتقد، وفي السنة نفسها أصدر محمد السعيد الزاهري جريدته الجزائر ثم الشهاب لابن باديس أيضا⁽¹⁴⁾.

وبودنا أن نقف مع الصحافة الإصلاحية التابعة لجمعية العلماء لاعتبارات موضوعية لعل أبرزها: وفرة الدراسات الأكاديمية الجزائرية التي تطرقت إلى مواضيع صحف الجمعية بالرصد والتحليل والتصنيف وجلّت طبيعتها واتجاهها ومضامينها مما يساهم في إبراز العلمي الدقيق للمواضيع الدينية المنشورة بها، في فترة تاريخية هامة من تاريخ الصحافة الجزائرية، إضافة إلى استمرار الجمعية في إصدار الصحف رغم ما تعرضت له من التوقيف والتعطيل وبعضها (البصائر) لا يزال إلى يومنا هذا، وكذلك لارتباط هذه الصحف بجمعية العلماء المسلمين وهي الجمعية التي ساهمت بقسط وافر في تثقيف الجزائريين وتنمية وعيهم الديني، كما أن صحف الجمعية قد امتازت بمستواها الراقي في الطرح وشهرتها المرموقة، مما أتاح لها الذيوع والانتشار وهكذا بلغت صحيفة البصائر "ما لم تبلغه أية جريدة عربية في الجزائر؛ إذ كانت تطبع

حوالي 4000 نسخة وهو رقم قلما بلغته جريدة أخرى في تلك الظروف⁽¹⁵⁾، أما الشهاب فقد اعتبرها تركي رابع ثالث مجلة في العالم العربي والإسلامي بعد العروة الوثقى لجمال الدين الأفغاني والمنار لمحمد رشيد رضا، وذلك بالنظر إلى محتواها واتجاهها الإصلاحية والسياسية⁽¹⁶⁾.

لقد وعت الشهاب طبيعة الظروف التي عايشها الشعب الجزائري في عهد الاحتلال الفرنسي وحددت الوظائف التي ينبغي أن تضطلع بها مصرحة بما في افتتاحية العدد الأول التي جاء فيها: "شهاب تنجلي بنوره ظلمات الجهل والخرافات والأوهام عن شمس الدين والمدنية المشرقة سنا، وشهاب رصد على الدين الصحيح من أن تلمسه أيدي دجاجة السوء وأنصار البدعة بأذى"⁽¹⁷⁾. وقد صدرت الشهاب بداية دون أن تعلن عن مؤسسيها إلى غاية العدد التاسع والأربعين (صفر 1345 هـ)، حيث كُتب عليها "الشهاب تصدر تحت إشراف مؤسسيها عبد الحميد بن باديس"⁽¹⁸⁾، ثم تغير شكلها إلى مجلة شهرية (فيفري 1929)⁽¹⁹⁾، وتميزت لهجتها بالاتزان والليونة والدعوة بالحسنى، وقد تحدثت عن ذلك في أحد أعدادها (28/01/1926) تحت عنوان: نحن والإصلاح الديني الذي جاء فيه: "ليس لنا أمل في هذا السبيل إلا القرآن والسنة وسير السلف الصحيح وليس لنا غاية إلا تصحيح العقائد، وتهذيب الأخلاق وتقويم الأعمال، وتزينة الدين مما أحدثه فيه المحدثون، وليس لنا داع يدعونا إلى هذا سوى الشعور بواجب النصح ومحبة الخير لإخواننا المسلمين الجزائريين"⁽²⁰⁾.

وقد تمثلت محتويات مجلة الشهاب في مجموعة من الأبواب التي تصب في المجال الثقافي والديني* والسياسي والاجتماعي والأدبي، وتمثلت المواضيع الدينية في الآتي:

- مجالس التذكير للتفسير والحديث**، ويكتبها الشيخ عبد الحميد بن باديس وتُنشر كافتتاحيات في الغالب.
- قصة الشهر: وتُنشر دون إمضاء، تُنقل من الكتب القديمة وتحكي سيرة بطل من أبطال التاريخ الإسلامي أو موقف من المواقف الإنسانية بهدف استخلاص العبرة وتوجيه القراء إلى الاطلاع على أبطال التاريخ الإسلامي.
- الفتوى والمسائل وهو ركن خاص بالفتاوى الشرعية، يتولى من خلاله الشيخ بن باديس الإجابة عن أسئلة القراء ذات الطابع الفقهي، ويتميز هذا الركن بعدم الانتظام في الصدور⁽²¹⁾.

واتسمت مجلة الشهاب بالتطور في مواضيعها حسب الأوضاع السياسية والاجتماعية إذ صدرت في بداية الأمر تحمل شعار: "مبدؤنا في الإصلاح الديني والدنيوي: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، وتحت شعار: "الحق والعدل والمواخاة في إعطاء الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات" ملمحا في ذلك إلى حق الشعب الجزائري في الحصول على حقوقه من السلطات الفرنسية بعد المساعدات التي قدموها لها أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد كتب القائمون عليها على أركان الغلاف الخارجي الأربع كلمات: "الحرية، العدالة، الأخوة، الإسلام"، ولما لم تحسن السلطات الفرنسية سياستها تجاه الجزائريين حذف ابن باديس الكلمات الأربع السابقة من المجلد الحادي عشر (أفريل 1935)، ولما يئس من سياسة السلطات الفرنسية غيّر شعار المجلة إلى العبارة الآتية: "لنعول على أنفسنا ولنتكل على الله"⁽²²⁾؛ وظلت الشهاب تصدر منذ سنة 1925 إلى غاية بداية الحرب العالمية الثانية (سبتمبر 1939) حيث توقفت*.

أصدرت جمعية العلماء جرائد السنة (من مارس 1933 إلى جويلية 1933) والشرعية (من جويلية 1933 إلى 29 أوت 1933)، والصراط (من سبتمبر 1933 إلى 8 جانفي 1934) لتكون كل واحدة منها خلفا للأخرى التي أوقفتها

السلطات الاستعمارية لتقوم الجمعية بإصدار صحيفة البصائر في سلسلتها الأولى (1935-1939) ثم الثانية (1947-1956)⁽²³⁾.

وفي دراسة تحليلية⁽²⁴⁾ تحتوى البصائر السلسلة الأولى؛ تبين أنها اهتمت في المقام الأول بالمواضيع التربوية — الثقافية (31,6%)، ثم المواضيع الاجتماعية (24,35%) ثم المواضيع العقائدية (8,8%)، أما عن الوظائف التي قصدتها الصحيفة فتمثلت بالدرجة الأولى في التوعية (35,75%)، بالنظر إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي عاشها الجزائريون في هذه الفترة، وأوضحت نتائج التحليل أن الصحيفة سعت إلى الدعوة إلى الإسلام بنسبة 5,69%، ورأت أن دعوتها إنما هي دعوة لما دعا إليه الإسلام من أحكام مبثوثة في الكتاب والسنة وقد ركزت الموضوعات على التوجيه من خلال نبذ البدع، وكذلك المواضيع الفقهية والفتاوى.

أما الدراسة التحليلية للبصائر في سلسلتها الثانية فقد أسفرت عن اهتمام صحيفة البصائر بتوعية الشعوب العربية والإسلامية بمخاطر الاحتلال الأجنبي، كما اهتمت بالمواضيع الاجتماعية والأخلاقية، وهو ما كان متناسقا مع فحوى القانون الأساسي للجمعية الذي نص على أن هدفها محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يجرمه صريح الشرع وينكره العقل.

كما كان اهتمام الصحيفة توجيهيا إرشاديا عن طريق انتقاد الظواهر التي تخالف القيم الإسلامية، واعتبرت أن أحد أسبابها ضعف الوازع الديني، ورأت البصائر أن مقاومة ذلك يتم عن طريق التربية الصالحة وإحياء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الأخلاق والفضائل الإسلامية.

وبالنظر إلى صحيفة البصائر نجد أنها تبنت مجموعة من الوظائف تمثلت في:

- 1 — مواجهة الاحتلال بالتمسك بمقومات الشخصية العربية الإسلامية.
- 2 — القضاء على مظاهر الانحلال الخلقي في المجتمع، والتوجيه إلى طريق العمل الصالح والتعاون بين أفراد.
- 3 — الدفاع عن حقوق المجتمع.
- 4 — التأكيد على انتماء الجزائر العربي وإعلان التضامن لكل القضايا العربية والدعوة إلى الوحدة.
- 5 — رفض كل أشكال الاحتلال⁽²⁵⁾.

ونلاحظ أن أهداف صحيفة البصائر في سلسلتها الأولى لا تختلف عن الأهداف التي سعت إلى تحقيقها في سلسلتها الثانية. فقد تمثلت أهداف صحيفة البصائر في سلسلتها الثانية في: التوعية (39,78%) بالدرجة الأولى، ثم الإعلام (19,89%)، ثم التثقيف (13,44%)، ثم دعم مكانة جمعية العلماء (15,59%)، ثم التوجيه والإرشاد (11,29%)، على أنه يقصد بالتوعية الاهتمام بطبيعة الواقع الذي يعيشه الفرد الجزائري، وتوعية هذا الفرد بمشكلاته ومساعدته على تجاوزها ورفض الواقع وتغييره إذا لم يكن في صالحه، وكان الاهتمام متجها نحو رفض الاحتلال وكشف خباياه⁽²⁶⁾.

استمرت صحيفة البصائر في الصدور إلى غاية سنة 1956 حيث أوقفتها السلطات الاستعمارية بعدما نشرت تقريرا يفيد تأييد جمعية العلماء للثورة الجزائرية⁽²⁷⁾، ولم تبق الساحة الإعلامية في الجزائر شاغرة بل أصدرت جبهة التحرير الوطنية صحيفة "المقاومة" ثم "المجاهد" في تونس لتكون ناطقة بلسانها⁽²⁸⁾، وقد صدرت في طبعتين باللغة العربية والفرنسية، وكان لها دور فعال في الدعاية لأخبار الثورة الجزائرية والدفاع عنها وطرح مطالب الشعب الجزائري وتوضيح الأهداف المرجوة

من تفجير الثورة؛ أما إذا بحثنا عن المواضيع الدينية في صحيفة المجاهد فإن الملاحظ عدم ورودها بشكل معتبر إبان الثورة، على الرغم من طبيعة الاحتلال الفرنسي وموقفه البغيض من الإسلام ومعلمه، والذي يشهد له موقفه من مساجد الجزائر ومن الكتابات ومن التعليم العربي الإسلامي، والمواضيع التي اهتمت بها المجاهد في مجال الشؤون الدينية كانت قليلة؛ على غرار المواضيع التي كتبتها عندما أعدّ ديجول مشروعاً لتعديل القضاء الإسلامي ودستور المرأة الجزائرية، فكتبت مقاليتين إحداهما بعنوان: " حرب ديغول الصليبية في الجزائر"، والثانية عن ما يعانيه " القضاء الإسلامي في الجزائر تحت السيطرة الفرنسية"، وعلقت المجاهد في المقاليتين عما لحق بالإسلام والقضاء الإسلامي من تشويه وتدهور على يد الاحتلال الفرنسي⁽²⁹⁾.

يلاحظ على الصحف الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية احتوائها على المواضيع الدينية على غرار صحيفة (La Défense) التي أصدرها الأمين العمودي وهو من مؤسسي جمعية العلماء في السادس والعشرين من جانفي 1934 بمدينة الجزائر، وكانت تنطق بصفة غير رسمية عن مواقف جمعية العلماء قبل تأسيس صحيفة البصائر⁽³⁰⁾، وقد ارتأت جماعة من الجزائريين إصدار صحفهم باللغة الفرنسية تفادياً لقسوة القانون الفرنسي؛ ذلك أن الصحف الحرة باللغة الفرنسية خضعت للقانون العام لا للتشريع الخاص بالوطنيين؛ غير أن الصحف الناطقة بالعربية هي الأكثر انتشاراً لاسيما منها الصحافة الإصلاحية، إذ أصبح علماء الإصلاح هم قادة الرأي العام الجزائري بفضل جهودهم الموازية في التربية والتعليم وصحفهم التي تميزت بلغتها الفصحى واتساع ثقافتها الإسلامية، وكانت تُقرأ ليس فقط في الجزائر بل في تونس والمغرب أيضاً⁽³¹⁾. ومن الصحف الإصلاحية التي ظهرت إضافة إلى ما سبق: أسبوعية الشعلة (1949/12/15) بقسنطينة ورئيس تحريرها أحمد رضا حوحو، والتي اهتمت بالموضوعات السياسية والثقافية وهي ذات مستوى فكري رفيع، صدر منها أربعة وخمسون عدداً لتتوقف في فيفري 1951؛ وكذلك عصى موسى (1950/7/6) بالجزائر العاصمة التي كان يحررها نخبة من الشباب الإصلاحيين؛ والداعي (1950/11/17) بالجزائر العاصمة التي حملت شعار: "دعوة الإسلام، والعزة والخير العام" وقد جاء على لسان محررها: "إن الغاية التي نرمي إليها هي المحافظة على الدين الصحيح... ويقع ذلك بواسطة تأسيس جمعية خيرية باسم المقاصد الخيرية"⁽³²⁾.

إضافة إلى ما سبق نجد الصحافة ذات الاتجاه السياسي الوطني*، ونقصد بها الصحف التي آمن أصحابها بفكرة الاستقلال وطالبوا به كما طالبوا بالسيادة الوطنية في المجال السياسي وبالاستقلال الثقافي عن فرنسا، وضرورة المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية من الدين واللغة وبهذا نُخرج الصحف التي طالب أصحابها بالاندماج، والملاحظ على هذه الصحف تبعيتها للأحزاب السياسية التي ظهرت في هذه الفترة، كما يلاحظ عليها أنها صدرت باللغتين الفرنسية والعربية وأن بعضها صدر في باريس بفرنسا، ونذكر منها على سبيل المثال: صحيفة الشعب (1937/03/11) التابعة لحزب الشعب الجزائري، والتي ترأس تحريرها مفدي زكريا أحد الأعضاء الإداريين بالحزب⁽³³⁾، وصحفاً أخرى تابعة لحزب انتصار الحريات الديمقراطية (حزب الشعب سابقاً)، نذكر منها: صحيفة "الأمة الجزائرية" وهي صحيفة شهرية ناطقة باللغة الفرنسية صدرت ما بين جويلية 1946 إلى أكتوبر 1948، وصحيفة "المغرب العربي" (1947-1949) وهي صحيفة أسبوعية كانت تصدر باللغة العربية عدا بعض الأعداد التي صدرت بالفرنسية لمحررها محمد السعيد الزاهري، والمنار (1951-1953) وهي نصف شهرية كانت تابعة للحزب ثم استقلت عنه⁽³⁴⁾.

إضافة إلى الصحافة الفردية التي لا يمكن إدراجها ضمن أي نوع من الأنواع السابقة على غرار صحيفة المنحنيق (الجزائر 1938)، محررها محمد بن الحنفية وليس فيها ما يدل على انتمائها لأي حزب أو طائفة معينة، غير أن اتجاهها الديني كان واضحا إذ كانت تعرض المسائل الفقهية من الوضوء والصلاة والتميم كما أنها لم تكن ذائعة الصيت بدليل عدم حديث الصحف التي عاصرتها عنها، ويبدو كذلك أنها لم تدم طويلا إذ صدر عددها الأخير في جانفي 1939⁽³⁵⁾. فهذا النوع يمكننا أن نقر بشأنه أن اتجاهه في عرض ما يتعلق بالشؤون الدينية يتقاطع مع الصحف آنفة الذكر من حيث مقاومة الاحتلال الفرنسي كما أنها لم تخلو من المواضيع الدينية باعتبارها إعلاما دينيا والذي يعني بجوانب محددة من مفهوم الدين على غرار الجانب العقائدي أو الفقهي أو الأخلاقي.

ويجدر بالذكر في هذا المقام أن الصحافة الجزائرية تأثرت بالمناخ الفكري الذي ساد بداية القرن العشرين ومنها زيارة محمد عبدو للجزائر (1903) التي كان لها تأثيرا كبيرا في دفع الحركة الإصلاحية الجزائرية حيث انتشرت أفكاره بسرعة وعلى نطاق واسع، الأمر الذي جعل بعضهم يقرأ مقالاته في مجالس مختلفة، وبعضهم جعل من الإمام محمد عبدو* مديرا روحيا لجريدته⁽³⁶⁾، كما كانت بعض الصحف الجزائرية تنشر مقالات لصحف مشرقية على غرار مجلة الشهاب التي خصصت ركنا بعنوان: "مجتنيات من الكتب والصحف"، وبعضها كتب عن شخصيات مشرقية وعن القضايا الفكرية التي كانت تُطرح في الشرق العربي على غرار كتابة الشيخ عبد الحميد بن باديس عن الأديب المصري طه حسين وآرائه في السيرة النبوية وكتابة الشيخ الإبراهيمي عن ملوك الدول العربية الذين خذلوا القضية الفلسطينية في مقالة معنونة بـ "سجع الكهان"⁽³⁷⁾.

ومما سبق عرضه يمكننا أن نقر مجموعة من الاستنتاجات المتصلة بمضمون الصحف الجزائرية من زاوية "الصحافة الإسلامية" بمفهومه العام أو "الصحافة الدينية" بمفهومه الجزئي.

إذ نلاحظ أن الصحف الجزائرية تأثرت بالمناخ السياسي الذي عاشته الجزائر والمتمثل في أوضاع مقاومة الاحتلال الفرنسي، كما ارتبطت بالظروف الاجتماعية والثقافية التي عاشها الشعب الجزائري فكانت الصحف تحارب سياسة التفجير والتجهيل وتفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية عن طريق الفرنسة وإثارة النعرات بين العرق الأمازيغي والعرق العربي، والصحف وإن تعددت ميولاتها بين صحف إصلاحية وذات اتجاه وطني، والصحف ذات الاتجاه الصوفي والصحف الفردية فإنها لم تُغفل المواضيع الدينية باعتبارها صحافة دينية، والذي يُعنى بجوانب محددة من التصور الشامل الذي يحمله الدين الإسلامي على غرار الجانب العقائدي أو الفقهي أو الأخلاقي، وهي المضامين التي تحتل صفحة أو بعض الصفحات من الجريدة ككل على غرار ما تدخله بعض صحف اليوم ضمن "الصفحة الدينية".

أما مصطلح "الصحافة الإسلامية" فإنه ينطبق على الصحافة الإصلاحية التي كانت تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والذي تؤكد الدراسات التحليلية التي اعتنت بتحليل مواضيع من هذه الصحيفة أو تلك، إضافة إلى وفرة المادة العلمية الواردة عن هذه الصحف، والتي من حسن حظها أن بعضا منها لا يزال ممتدا إلى يومنا هذا. وعليه فإن النظر في مواضيع صحف جمعية العلماء يؤدي بنا إلى الإقرار بأن المعاني والقيم الإسلامية كانت حاضرة في مواضيع الصحف على اختلاف تلك المواضيع بين محلية وعالمية، وبين سياسية واجتماعية وثقافية دون أن تحمل الجانب التوجيهي الإرشادي مما يجعلنا نقر أن مفهوم "الصحافة الإسلامية" ينطبق عليها وهو الأقرب منه إلى مفهوم "الصحافة الدينية".

إذ لم تقتصر صحف الجمعية على جانب الوعظ والإرشاد فحسب، ولكنها ارتبطت بمختلف مجالات الحياة التي كانت تتصل اتصالا وثيقا بواقع الفرد الجزائري، واتصلت بأهداف جمعية العلماء التي جعلت التوعية نصب عينها، وكانت تعني بها: "توعية الفرد الجزائري بمشكلاته ومساعدته على تجاوزها، ورفض الواقع وتغييره إذا لم يكن في صالحه"³⁸ كما مر معنا سابقا.

أما سائر الصحف الجزائرية فبعضها كان من الصحف الدينية المتخصصة في مجال من مجالات الدين الإسلامي، وهذا النوع من الصحف أقرب إلى مفهوم التربية والتوجيه والإرشاد على غرار صحف الاتجاه الصوفي التي ركزت على مواضيع التصوف والتزكية الأخلاقية، أما البعض الآخر فإنها كانت تتراوح بين الطابع السياسي الذي طغى عليها وبين الانتماءات الحزبية والأهداف السياسية التي كانت تنشدها، وبعضها الآخر لم يخرج عن أهداف الصحف التقليدية والمتمثل في التثقيف والتوعية، وتحديد ذلك يتطلب دراسة للمضمون من الناحية الوصفية والتحليلية، وهي الدراسة التي تُعنى بتحليل المواضيع وتحديد أهداف الصحف — محل الدراسة — وهو الميدان الذي نحث الباحثين الجزائريين على الولوج فيه والتعمق في أغواره، وهو عمل يتطلب التكاثف والعمل لسنوات في مجال البحث في الصحافة الجزائرية كما يتطلب تيسير سبل الحصول على نسخ الصحف المتفرقة عبر مختلف المكتبات.

قائمة المصادر والمراجع

- 1 إبراهيم عيسى أبو اليقظان : تاريخ صحف أبي اليقظان، تقديم وتعليق محمد ناصر ، دد ، 2003.
- 2 خليل صابات، وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991.
- 3 الشهاب، ع1، الخميس 25 ربيع الثاني، 1344 هـ/ 12 نوفمبر 1925.
- 4 صلاح عبد اللطيف، الصحافة المتخصصة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 2002.
- 5 عبد المالك مرتاض: الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- 6 علي حسين مصطفى: الإذاعة المدرسية والإعلام الديني، دار قباء، القاهرة، 2003.
- 7 عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 8 عواطف عبد الرحمن: الصحافة في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 9 غنية جمال: جريدة البصائر ودورها الإصلاحي السلسلة الثانية 1947-1956، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2003 — 2004.
- 10 فاروق أبو زيد: الصحافة المتخصصة، عالم الكتب، القاهرة، 1986.
- 11 فوزي مصمودي: تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليمها من 1900 إلى 1956، تصدير أبو القاسم سعد الله، الجمعية الخلدونية للأبحاث، الجزائر، 2006.
- 12 محمد الصالح آيت علجت: صحف التصوف الجزائرية من 1929 إلى 1955، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- 13 محمد ناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، منشورات ألفا، الجزائر، ط3، 2006.
- 14 محمد ناصر: المقالة الصحفية العربية؛ نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، مج1، 1978.

- 15 مفدي زكريا: تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر.
- 16 نور الدين فليغة، النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة تحليلية لعينة من صحيفة البصائر 1935 — 1939، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2002.
- الهوامش

- (1) — زهير إحدادن: الصحافة المكتوبة في الجزائر، الجزائر، دس، ص: 25.
- (2) — فضيل دليو: "الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الأصالة والتغريب"، البصيرة، ع5، 2000، ص: 43.
- (*) — وهو ما صنّفه الباحث الجزائري زهير إحدادن إلى قسمين: الصحافة الحكومية وصحافة أحباب الأهالي على أساس أن هذه الأخيرة تختلف عن الأولى بكون الفرنسيين المنشئين لها استاءوا من السياسة الفرنسية وأرادوا تقديم العون إلى المسلمين الجزائريين خدمة لمصالح فرنسا عن طريق دعوتها إلى تحسين أوضاع الأهالي (مرجع سابق، ص: 29 — 32) ونظرا لأن كلا القسمين يخدم مصالح السلطات الاستعمارية فإن ذلك قد دفعنا إلى اعتبارهما شيئا واحدا يدخل تحت مسمى: الصحافة الاستعمارية أو الفرنسية.
- (*) — وهو الباحث الجزائري زهير إحدادن في: الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص: 32.
- (3) — صلاح عبد اللطيف، الصحافة المتخصصة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 2002، ص: 93، 11، 13.
- (4) — فاروق أبو زيد: الصحافة المتخصصة، عالم الكتب، القاهرة، 1986، ص: 5.
- (5) — وهو ما ذهب إليه صلاح عبد اللطيف، انظر: الصحافة المتخصصة، مرجع سابق، ص: 19-20 وفاروق أبو زيد، مرجع سابق.
- (6) — علي حسين مصطفى: الإذاعة المدرسية والإعلام الديني، دار قباء، القاهرة، 2003، ص: 72.
- * — ومنها الكتب التي ألفها الباحث الجزائري زهير إحدادن حول: تاريخ الصحافة المكتوبة في الجزائر.
- * — يرى مفدي زكريا أن صاحب الامتياز فيها هو: أبومصور الصنهاجي في حين كان عمر راسم يكتب مواضيعها ويحررها بخط يده. انظر: مفدي زكريا: تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، ص: 57.
- ** — نسجل هنا التغير الذي حصل على مستوى هذه الجريدة إذ كان صاحبها من العناصر التي طالبت بحقوق المسلمين الجزائريين واحتجت بلهجة صادقة ضد السياسة الاستعمارية، ثم تغير الاتجاه إلى الدعوة إلى التجنيس؛ كما نسجل اختلافا بين الباحثين حول تاريخ صدور هذه الصحيفة بين من يقر أن ذلك وقع بتاريخ 18 ديسمبر 1909 (مفدي زكريا، مرجع سابق، ص: 55) وبين من يقر أن الإصدار كان سنة 1908، وهو: محمد الصالح آيت علجت في صحف التصوف الجزائرية من 1929 إلى 1955، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 38، وزهير إحدادن في: الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص: 48. في حين يرى آخرون أن إصدارها وقع في أكتوبر 1910 (محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، مرجع سابق، ص: 40-41).
- (7) — محمد الصالح آيت علجت: مرجع سابق، ص: 38.
- (8) — محمد ناصر، مرجع سابق، ص: 56، 87، 248.
- (9) — محمد ناصر: المقالة الصحفية العربية؛ نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، مج1، 1978، ص: 81.
- (10) — محمد ناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، منشورات ألفا، الجزائر، ط3، 2006، ص: 267، 270.
- (11) — محمد الصالح آيت علجت، مرجع سابق، ص: 57، 60.
- (12) — إبراهيم عيسى أبو اليقظان: تاريخ صحف أبي اليقظان، تقديم وتعليق محمد ناصر، دد، 2003، ص: 25.
- (13) — محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، مرجع سابق، ص: (73-76).
- (14) — فوزي مصمودي، مرجع سابق، ص: 22.
- (15) — محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 220.
- (16) — توكي رايح، مرجع سابق، ص: 184.
- (17) — الشهاب، ع1، الخميس 25 ربيع الثاني، 1344 هـ/ 12 نوفمبر 1925، ص: 3.
- (18) — مفدي زكريا، مرجع سابق، ص: 88.
- (19) — توكي رايح: مرجع سابق، ص: 183.

- (20) - مفدي زكريا، مرجع سابق، ص: 88-89.
- * - نقصد هنا بالجمال الديني الإعلام الديني والذي نجده في الصحف على شكل الصفحة الدينية في حين نجده في الإذاعة والتلفزيون على شكل برامج قارة تعني بشؤون الدين في زاوية من زواياه على غرار العقيدة أو الفقه والأخلاق .
- ** - وقد قامت وزارة الشؤون الدينية بنشرها سنة 1982 في كتاب من جزأين، تضمن الجزء الأول تفسير القرآن الكريم، في حين تضمن الجزء الثاني شرح الحديث النبوي.
- (21) - تركي رابح: مرجع سابق، ص (265-267).
- (22) - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية ، مرجع سابق، ص: 66.
- (*) - هناك اختلاف بين الباحثين حول سبب التوقف. إذ يرى تركي رابح أن ذلك كان من تلقاء نفسها لانعدام الحرية في فترة الحرب أكثر مما كانت عليه من قبل (في الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص: 142)، في حين يرى محمد ناصر أن ذلك تم بأمر الوالي العام الذي قضى بتعطيل عدد شهر أوت (في الصحف العربية الجزائرية، ص: 62).
- (23) - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية ، مرجع سابق، ص: 145، 146، 166، 168، 200، 201، 212.
- (24) - نور الدين فليحة، النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة تحليلية لعينة من صحيفة البصائر 1935 - 1939، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2002، ص: 117، 118، 120.
- (25) - غنية جمال: جريدة البصائر ودورها الإصلاحي السلسلة الثانية 1947-1956، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2003 - 2004، ص: 154، 155، 163.
- (26) - المرجع نفسه، ص: 163.
- (27) - عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 45.
- (28) - زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص: 45.
- (29) - عواطف عبد الرحمن: الصحافة في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 129.
- (30) - زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سابق، ص: 38-39.
- (31) - خليل صابات، وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991، ص: 341-342.
- 32 - فوزي مصمودي: تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليمها من 1900 إلى 1956، تصدير أبو القاسم سعد الله، الجمعية الخلدونية للأبحاث، الجزائر، 2006، ص: 151-152، 158، 163.
- * - وهي ما أسماها زهير إحدادن بالصحافة الوطنية (انظر الصحافة المكتوبة في الجزائر، ص: 40-41)
- (33) - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 228-229.
- (34) - عواطف عبد الرحمان، مرجع سابق، ص: 44-45.
- (35) - محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية ، مرجع سابق، ص: 231-232.
- * - وهي جريدة "ذو الفقار" لعمر راسم الذي صرح بهذا في افتتاحية العدد الأول (1913م) قائلا: " ذو الفقار جريدة عبودية إصلاحية". انظر: محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 40.
- (36) - الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزائر، 1985، ج4، ص: 97.
- (37) - عبد المالك مرتاض: الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص: 117-118.
- 38 - غنية جمال، مرجع سابق، ص: 163.